

استراتيجيات تدريس المفردات وتنمية الكفاية المعجمية

يوسف باهة
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
أكاديمية الرباط - سلا - القنيطرة

مقدمة

حظي مكون المعجم في مجال اللسانيات بحظ وافر من الدراسة، والتحليل؛ حيث سعى ثلاثة من المعجميين للتنظير له على اعتبار أن هذا المكون في دينامية وتطور، بخلاف المكون النحوي، والتركيبي، والصري. هذا الاهتمام بمكون المعجم، أساسه الاختلاف بين الباحثين حول ماهيته، إذ ارتأى بعضهم جعله مكونا من مكونات النحو، أو بنية من النظام النحوي، نظرا للعلاقة العضوية بينهما، وهناك من اعتبره نظاما مستقلا عن غيره من أنظمة اللغة؛ لكونه يشتمل على قواعد منتظمة، ووحدات لغوية تربطها علاقات محددة.

في المقابل، لم تلق ديدكتيك المفردات المعجمية، أهمية بالغة من لدن المتخصصين في المجال التعليمي، واقتصر دورهم فقط على تقديم طرائق لشرح المفردات، بغية تسهيل فهم النصوص، وشرح القواعد النحوية؛ فتتجزء عن ذلك، قصور في استراتيجيات تدريس المفردات ضمن المناهج التعليمية، وتم تنميته درس المعجم في قوائم من المفردات لا تحمل أي إمكانية لجعل مكون المعجم نشطا تحويليا؛ لأن طرائق تدريسه تُبقي المتعلم خارج كل عملية تفاعلية. وعليه، تبرز الإشكالية الطبيعية للديدكتيك التي يتوجب عليها أن تعنى بمشكلات المنهجية، والطرائق البيداغوجية، لبناء معرفة معجمية، تتجنب الحشو، والتشوش على المتعلم.

أ. إشكال الدراسة

يتمثل الإشكال الجوهرى الذى تطرحه هذه الدراسة في السؤال الآتى:
كيف ننمى كفاية المتعلم المعجمية وفق مقاربة ديدكتيكية؟

ب. أسئلة الدراسة

لتحديد محاور هذه الدراسة ورسم حدودها، ننطلق من إشكال الدراسة
لطرح أسئلة فرعية منها:

- (1) ما العناصر التي ينبغي التركيز عليها أثناء تعليم المفردات وتعلمهها؟
- (2) كيف تسهم الوسائل التكنولوجيا في تنمية الكفاية المعجمية؟
- (3) كيف يمكن تمثيل معنى المفردات في ذهن المتعلم؟

ج. أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- (1) تحديد أهمية توظيف استراتيجيات معرفية لتعلم المفردات وتعليمها؟
- (2) تبيان أهمية الوسائل التكنولوجيا في تنمية الكفاية المعجمية؟
- (3) إبراز دور الخرائط الذهنية في تمثل معانى المفردات في ذهن المتعلم؟

1. تعليم المفردات وتعلمهها

طرح تعليم المفردات ضرورة الاستفادة من نتائج الأبحاث اللسانية التعليمية ومواكبتها في بلورة مقاربة ديدكتيكية، تتجاوز حشو ذهن المتعلم بلوائح من المفردات بمعزل عن السياق المقامي الذي أنتجها، وفي هذا السياق، يرى كثير من الباحثين المهتمين بمجال تعليم اللغات وتعلمهها، أن طبيعة الكشف عن سيرورة النقل المعرفي للمفردات من المظاهر اللغوية التي ينبغي مقاربتها من زوايا متعددة؛ لأن استيعاب المفردة يفرض إدراك خصائصها،

الخطية، والصوتية، والتركيبة، ومعرفة سياقها التداولي والسوسيولساني، وصولاً إلى بناء معرفة معجمية.

ارتباطاً بموضوع الدراسة، فإن متعلمي اللغة العربية في حاجة إلى برامج تعليمية لغوية، تخص تدريسية المفردات، وتصاغ بمقاييس عالية، وفق مقاربات تعليمية ديدكتيكية، تبني لديهم كفاياتهم المعجمية، وتهلهم لمواصلة تعلم اللغة العربية بشكل سليم. وفي هذا الصدد يقول (Vermeer,2001): "معرفة المفردات هي مفتاح لفهم والإفهام، والجزء الأكبر من تعلم لغة معينة مرتبط بتعلم مفرداتها"!¹.

وبموجب هذا التصور، فإن المتعلم عندما لا يمكن من التعبير شفهياً أو كتابياً نتيجة ضعف مخزونه المعجمي أو عدم القدرة على توظيف المفردات إنتاجاً وفهمها استقبلاً، قد يلجأ إلى توظيف بعض الكلمات في غير سياقها المناسب، أو يستعين باللهجة العامية، مما يضعف قدرته التواصلية وكفايته المعجمية، وعليه ينبغي تزويد المتعلم باستراتيجيات فاعلة مبنية على هندسة تعليمية وظيفية، لتبسيط تعلم المفردات، داخل قسم اللغة العربية.

إن استخدام المعلم طريقة ما للتعلم، دليل على أنه تعلم كيف يتعلم؟ وهذا ما تسعى إلى تحقيقه استراتيجيات التعلم "الاستراتيجية متواالية مندمجة من الإجراءات المتقدمة لبلوغ هدف معين من أجل استثمار أمثل للكفاءة".² وفي هذا السياق، فإن تنمية الكفاية المعجمية لا تقتصر فقط على تزويد المتعلم بالمفردات ثم استعمالها في موقف تواصلي، بل ينبغي التركيز على استراتيجيات تعلمها؛ لأن المواقف التواصلية تختلف حسب السياق، وهذا ما أكده بعض الباحثين أمثال ناسيون "Nation" ينبغي للمدرسين تدريب المتعلمين على استراتيجيات تساعدهم على فهم الكلمات وتذكرها".³

1 - Vermmer.A 2001. P. 219

2 - زغبوش، بنعيسى. 2008. ص. 61

3 - Nation. 2001. P. 28

إن توظيف استراتيجيات معرفية ومتاتعرفية أثناء تدريس المفردات، سيسهم في تنمية كفاية المتعلم المعجمية. ونعني بالمعجم هنا المعرفة المعجمية التي يمتلكها متكلم اللغة العربية حول ألفاظ لغته، كيف يفهمها ويضعها في تراكيتها وسياقاتها المناسبة، ويبعد بها ألفاظاً جديدة، ويوسع من معانيها. فالمعجم هو مكون من مكونات اللغة، تحمل وحداته معلومات تتعلق بما هو صوقي، صرفي، دلالي، تركيبي. وإذا كان الهدف من تعليم اللغة تمكين المتعلم من التعبير بلغة سليمة ومقبولة، فالوسيلة الأنفع هي تطوير كفايته اللغوية مع مراعاة مستوى المتعلمين وحاجاتهم الوظيفية والذهنية والعاطفية والمعرفية.

2. الوسائل التكنولوجيا وتعليم المفردات

تروم الدييدكتيك الاستفادة من الوسائل التعليمية جيئها لتحقيق الجودة في العملية التعليمية التعليمية، وبما أننا في عصر التكنولوجيا فقد أصبح من الضروري استعمال وسائل تعليمية حديثة، تساعد المدرس في النقل الدييدكتيكي للمعارف، وهذا ما تم التأكيد عليه في المذكرة التربوية: "تحسين وملاءمة التقنيات البيداغوجية وطرائق التدريس، وتوفير الوسائل والوسائل الدييدكتيكية (السمعية-البصرية-الرقمية) المساعدة على تدريس وتعلم اللغات".⁴

تكتسي الوسائل التعليمية أهمية في منظومة التربية والتكوين، لما تقدمه من إمكانيات لتنمية الكفايات اللغوية والتواصلية، وتحسين جودة العملية التعليمية التعليمية. وتماشيا مع السياق نفسه، نص الميثاق الوطني للتربية والتكوين في الدعامة العاشرة من المجال الثالث المتعلق بالرفع من جودة التربية والتكوين على أنه: "سعيا لتحقيق التوظيف الأمثل للموارد التربوية، ولجلب أكبر فائدة ممكنة من التكنولوجيا الحديثة، يتم الاعتماد على التكنولوجيات الجديدة".⁵

4 - المذكرة التربوية، ع، 132، ص. 2

5 - الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الدعامة 10، المداد: 119-120-121

قبل الحديث عن أهمية الوسائل التعليمية التكنولوجية، ودورها في تنمية الكفاية المعجمية، ارتأينا أن نقدم تعريفاً لمفهوم تكنولوجيا التعلم من أجل تحديد المصطلح.

ورد مفهوم تكنولوجيا التعليم في معجم علوم التربية على أنه "مجموع الموارد السمعية البصرية المستعملة في التعليم مثل الصور والأفلام وأدوات التسجيل والراديو والتلفزة، كما أنها تشير كذلك إلى منهجية التعليم مثل التعليم المبرمج".^٦

إن الصعوبات التي يعاني منها بعض المتعلمين أثناء عملية التعلم لا تقتصر على ضعفهم المعرفي أو الذهني، بقدر ما تتعلق بالطائق والوسائل التعليمية التقليدية التي يستعملها المدرسوون لإيصال المعلومات، لذلك ينبغي للمدرس تنوع الوسائل التعليمية لتنسجم مع مختلف أنماط التعلم.

ترتبط مختلف استعمالات الوسائل التعليمية الحديثة في العملية التعليمية التعلمية بمجموعة من المهام الدидاكتيكية التي تسعى إلى تيسير إدراك المعرف وتبسيطها، كما تهدف إلى:

- تنمية الكفاية التواصلية على مستوى استقبال المفردات وإنتجها؛
- مساعدة المتعلم على توظيف جميع حواسه مما يسهم في ترسیخ المعلومات؛
- توفير بيئة تفاعلية للتعرف على الأشياء المجردة؛
- مشاركة المتعلم في سيرورة بناء الدرس.

لا يتضمن تصميم الوسائل التعليمية الحديثة تقديم المعرف فقط، بل يتعدى ذلك إلى عرضها بطريقة تشجع المتعلمين على التفاعل لاستيعاب المعلومات وإدراكتها، ولتحقيق هذا الهدف تبغي الإجابة على الأسئلة التالية:

6 - غريب، عبد الكريم. 1998. ص. 161.

- ماذا؟ : الكفايات المراد تعميتها من النشاط التعليمي؛
 لمن؟ : وصف الفئة المستهدفة: سنها، مستواها المعرفي، والمهاري،
 والوجوداني؛
 - كيف؟ : تحديد الطرائق والاستراتيجيات المعرفية، والوسائل التي
 ستسهم في تحقيق الكفاية.

إجمالاً، إن تنمية الكفاية المعجمية، تتطلب توظيف واستثمار عدة وسائل تعليمية : صوتية بصرية سمعية؛ لأن طبيعة معالجة المعلومات في الذاكرة وترميزها تختلف باختلاف الحواس المستقبلة للمثيرات كما أشار إلى ذلك كل من .Shiffrin⁹ Atkonson

يحتوي نظام معالجة المعلومات لدى الإنسان على قناة مزدوجة للمعالجة:

القناة السمعية اللفظية:

---الأذنان--- الكلمات المسموعة

القناة البصرية التصورية:

---العينان--- الصور

إن لكل قناة قدرة محدودة على معالجة المفردات، وترميزها "علماً بأننا نحفظ ب 20% مما نسمعه و 50% مما نراه ونسمعه، لذلك من مصلحة المكون أن يوظف القناة البصرية إلى جانب القناة السمعية، وأن يلجأ إلى المساند البيداغوجي من أجل تحسين الشرح والاستشهاد والتوضيح".⁷

لذلك ينبغي استخدام الوسائل التكنولوجيا أثناء عملية التعلم من أجل تمثل المفردات المجردة ذهنياً، فالوسائل السمعية لها أهمية في كيفية نطق المفردات، والوسائل البصرية مثل الحاسوب، التلفاز، السبورة التفاعلية، تمكننا من فهم

7 - هاروشي، عبد الرحيم 2004. ص. 190

وتمثل دلالة المفردات المجردة، إما لأنها لا توجد في بيئته، أو أنه لم يتمكن من فهمها لغظياً.

إن توظيف الوسائل التكنولوجية داخل الفصل الدراسي سيساعد المدرس على القيام بعملية المواجهة من أجل تعديل الخطأطات الذهنية للمتعلم لكي تكيف مع المفردات الجديدة، كما سيمكّنه من خلق بيئة تفاعلية ستسمح في تنمية منطقة النمو قريبة المدى التي أشار إليها فيجوتسكي؛ لأن نمو هذه المنطقة يختلف من فرد لفرد تبعاً لمنطقته الحالية المتوقعة، لذلك ينبغي توظيف الوسائل التكنولوجيا في العملية التعليمية مراعاة للفوارق الفردية بين المتعلمين.

عطفاً على ما سبق ذكره، تشكل الوسائل التعليمية، مدخلاً حقيقة لإدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في ميدان التعليم، فهي تساعد المتعلم على تمثيل واستيعاب المفردات، وتغني بيئته التعلم، فتيسّر سبل إدراك المعرف، وتجعل العملية التعليمية أكثر تشويقاً، باستخدامها الصوت والصورة والألوان، وكلها عناصر تحفز المتعلمين، وتثير انتباهم لموضوع التعلم، وتساعد المدرس على بناء وضعية تعليمية، تراعي الفروق الفردية بين المتعلمين.

فهم المفردات استقبالاً وإنجاها بشكل شفوي وكتابي فعال، يتطلب الاستعانة بمدخلات سمعية وبصرية تفاعلية، إذ تسمح للمتعلم بإنشاء روابط بين المفردات لبناء المعنى وتفكيكه، وإدماج المعلومات في شبكة المعرف الموجودة في الذهن، بمعنى "ربط المعلومات الجديدة بالمفاهيم أو المعلومات الموجودة سلفاً في الذاكرة، أو ربط جزء من معلومة ما بجزئها الآخر قصد خلق روابط في الذاكرة".⁸ ويتتابع الصور الذهنية، ومعاني المفردات ودلائلها وارتباطاتها، يتم بناء خريطة ذهنية توفر نموذجاً يعرفه المتعلم سابقاً، فيطلب منه بناء نماذج تدعم سيرورة اكتساب المفردات وتعلّمها. وفي تفعيل هذه الاستراتيجية تجاوز استراتيجية الحفظ التي قد تبدو ناجحة على مستوى المدى القريب، لكنها طريقة غير عملية لتنسّق عدداً كبيراً من المفردات.

3. استراتيجية الخرائط الذهنية وتعليم المفردات

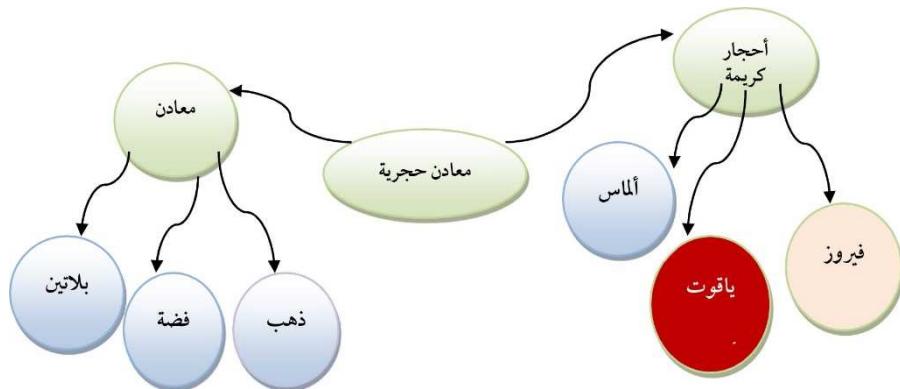
تقتضي استراتيجية الخرائط الذهنية تنظيم فعل التعلم، لتأمين المعلومة، وتعلم ما هو أساسى، وذلك بتنمية سيرورة التحليل والتركيب. وبفضل هذا العمل الذهنى يتعلم المتعلم كيف ينظم المفردات التي يكتسبها، وفي هذا السياق، فإن المدرس مطالب بتيسير تنظيم المعلومات الجديدة، لتسهيل عملية إدماجها، وتحويلها إلى الذاكرة بعيدة المدى، وبدون هذا النسق من التشفير، فإن المفردات المتحصل عليها تستحيل مواعمتها مع المعارف السابقة. وتبعاً لهذا التصور، فإن "معرفة الفرد لكلمات معينة تمكنه من استشارة الكلمات والأفكار المتصلة بها- خطاطته اللغوية- وتعمل هذه العملية على إثارة وإغناء معجمه الذهنى".⁹

ولتفعيل هذه الاستراتيجية، ينبغي تحليل حاجيات المتعلم؛ لتحديد موضوع التعلم. وهذا يعني أن اكتساب المفردات يتم بطريقة صريحة، وتماشياً مع هذا التصور، يحتاج المدرس عند البدء بتطبيق الاستراتيجية الذهنية، "إلى ربط المعلومات المقرؤة في الكتب والمذكرات بواسطة رسومات وكلمات على شكل خريطة، تحول الفكرة المقرؤة إلى خريطة تحوي أشكالاً مختصرة ممزوجة بالألوان وأشكال في ورقة واحدة حيث تعطي المتعلم مساحة واسعة من التفكير، وتمكنه فرصة مراجعة معلوماته السابقة عن الموضوع، وترسيخ البيانات والمعلومات الجديدة في مناطق المعرفة الذهنية".¹⁰

9 - عصر، عبد الباري. 1999. ص. 10.

10 - هلال، محمد عبد الغني. 2007.

شكل (1) خريطة ذهنية لتمثيل المعنى في ذهن المتعلم.



يتضح لنا من قراءتنا البصرية للشكل (1) أن المعلومات التي سيتعرف عليها المتعلم، ستقدم له بطريقة منظمة، اعتماداً على مبدأ التصنيف والتجميع، حيث تم تحديد خصائص مشتركة بين المعادن الحجرية. وهكذا رتب هذه المعادن إلى أحجار كريمة، ومعادن نادرة. وفي هذا الإطار، ينبغي على المدرس الانطلاق من عقدة مركزية، واستخدام تقنية العصف الذهني لتجميع المفردات والعقد المشقة عنها، وذلك بهدف تقوية الذاكرة، مما يضمن للمتعلم حسن تدبير معارفه، وتنمية معجمه الذهني.

غالباً ما يتم التركيز أثناء تعليم المفردات على الأسماء، حتى أن القاموس المدرسي، يهتم بشرح الأسماء والصفات، أكثر من الأفعال. هذا البعد قد لا يقوي الروابط بين مختلف مكونات اللغة، في هذا السياق يمكن أن نتساءل: **كيف نمثل لمعنى الفعل؟**

إن تفعيل الخريطة الذهنية أثناء تعليم المفردات للمتعلمين، من شأنه أن ينمّي كفاياتهم المعجمية. فمثلاً سنطلب من المتعلم استخراج أفعال الإدراك البصري والمعنوي مستعيناً بمنظومة عبارة عن حقول دلالية؛ أي الاستعمال وفق موضوعات محورية، وسيعمل المدرس على تحديد الفروق الدلالية بين فعلين يتميّزان إلى حقل دلالي، ومثال ذلك:

رقم	راقب
- فعل غير إرادي	- فعل إدراكي
- نظر إليه وأتبعه بصره	- إدراك موجه في اتجاه المفعول
- أداء النظر	- لاحظ المفعول ورصده

إن استراتيجية الخطاطة الذهنية هندسة معرفية، تهدف إلى نمذجة السمات اللسانية للمفردات على المستوى الذهني من أجل إعداد قاعدة بيانات يستخدمها المتعلم لمعالجة المفردات الجديدة بغية تحقيق مبدأ الاقتصاد الذهني؛ لأن دماغ الفرد عندما يستقبل معلومات جديدة، يعمل على ربطها بمعلومات مكتسبة قبلياً، ولذلك فلا يحتاج المتعلم إلى أن يقف عند كل مفردة يبحث عن معناها؛ بل قد يعتمد على معجمه الذهني، ووفق هذا التصور السيكولوجي، تظهر أهمية الخرائط الذهنية في تنظيم المعلومة وتصنيفها وتحديد الخصائص المشتركة بين مفردتين أو أكثر حتى يتيسر التمييز الإدراكي.

خاتمة:

تمثل الوعي بأهمية المفردات كنواة مركزية لتعلم اللغة وتعليمها، يفرض علينا تجويد استراتيجيات نقلها معرفياً للمتعلمين، لبناء معرفة معجمية داخل قسم اللغة العربية، وتحقيقاً لهذا البعد الذي يتجلّى في تدريس المفردات بطريقة ناجحة وناجعة، فإن المنهجية التي تتصورها لتفعيل هذا المقترن، تقوم على مبدأ تفعيل موارد رقمية لتشكيل بيئه تعليمية جذابة، تيسّر التعلمات، وتجعل المتعلم يتمثّل المفردات عبر مداخل متعددة، وفي هذا الإطار، فإن "تنمية الكفاية المعجمية لا تقتصر فقط على تعلم المفردات ومعرفة خصائصها وسماتها المميزة، وإنما القدرة على استعمالها حسب المقام التواصلي استقبلاً وإنجاً مع توظيف طرائق ديداكتيكية تركز على تشغيل المهارات اللغوية شفهياً وكتابياً"، هذا البعد يتطلب صياغة استراتيجيات معرفية، ومتامعرفية؛ لأنها تشكل مسافة واعية بين التعلمات، وستسهم في تحسين فهم المفردات وإناجها بشكل سليم.

المراجع:

- زغبوش، بنعيسى: (2008). *الذاكرة واللغة، مقاربة علم النفس المعرفي للذاكرة المعجمية وامتداداتها التربوية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع*، أربد الأردن.
- شعبان، ماهر: (2011) *تعليم المفردات اللغوية*، دار المسيرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- عصر، عبد الباري: (1999). *الفهم عن القراءة: طبيعة عملياته وتذليل مصاعبه*. مركز الاسكندرية للكتاب، مصر.
- غريب، عبد الكرييم، وأخرون: (1998). *معجم علوم التربية*، سلسلة علوم التربية 9-10، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- الهاروشي، عبد الرحيم: (2004). *بيداغوجيا الكفايات*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- هلال، محمد عبد الغني: (2007). *مهارات التعلم السريع القراءة السريعة والخريطة الذهنية*، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة.

المجالات

- باهه، يوسف: *تنمية الكفاية المعجمية لتعلم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية*، دكتوريات التدريس، 2018، ع2، منشورات مجلة التدريس، مطبعة الرباط نت، الرباط.
- حسيني، فاطمة: *تعلمية اللغة العربية: من الكفاية المعجمية إلى الكفاية التواصلية*، مجلة اللسان العربي ع77، 2016، منشورات مكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو).

- Nation, I.S.P:(2001). **Learning Vocabulary in Another language**, Cambridge applied linguistics, university press.
- Oxford, L :(1990). **Language Learning Strategies**. Boston : Heinle and Heilene.
- Vermmer, A:(2001). **Breadth and depth of vocabulary in relation to L-1/L-2 acquisition and frequency of input**. Applied psycholinguistics.